

مع معجم "الصحاح" و "حواشيه"

للدكتور إبراهيم السامرائي

(عضو مؤزر في المجمع)

يحسن أن نعرض لشيء من "الصحاح"^(١) فنقول فيه ما يهيئ للكلام على ما سينجلي لنا من الكتابين اللذين أشرنا إليهما في أسفل هذه الصفحة.

لقد حظي كتاب "الصحاح" بعناية الدارسين فاشتهر وشاع استعماله، وقد نهج فيه الجوهري نهجاً يقوم على نظام الباب والفصل، فقد رتب الأصول اللغوية فيه على الحرف الأخير فسماه "باباً"، ثم رتب مواد الباب على الحرف الأول منها فسماه "فصلاً" متبعاً الترتيب الهجائي فيما بين الباب والفصل من أحرف الأصل اللغوي.

قد يكون الجوهري أفاد هذا النظام من الفارابي في "ديوان الأدب" وهو المعجم الذي حبس على ضبط الأبنية في العربية. ولا أستطيع أن أقول: إن الجوهري أفاد هذا النظام من البندنجي في كتابه "التقفية" كما ذهب إلى هذا غير واحد من الدارسين. وقد كنت أشرت في مبحث سابق أن كتاب "التقفية" ليس معجماً سبق "الصحاح"، ذلك أنه

(١) أخص بالدرس من هذه "الحواشي" كتابين وهما:

أ- كتاب التنبية والإيضاح عما وقع في الصحاح لأبي محمد عبدالله بن بري المصري المتوفى سنة ٥٨٢هـ. (من منشورات مجمع اللغة العربية في القاهرة)، تحقيق وتقديم مصطفى حجازي، ومراجعة علي النجدي ناصف للجزء الأول.

ب- كتاب "التكملة والذيل والصلة" للحسن بن محمد بن الحسن الصغاني المتوفى سنة ٦٥٠هـ. (من منشورات مجمع اللغة العربية في القاهرة)، تحقيق عبدالعليم الطحاوي، ومراجعة عبدالحميد حسن للجزء الأول.

(٢) "تاج اللغة وصحاح العربية" هو المعجم الذي اشتهر بين الناس باسم (الصحاح) لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى سنة ٣٩٨هـ.. نشر غير مرة آخرها بتحقيق أحمد عبدالغفور عطار.

كتاب من نمط الكتب التعليمية قصد منه صاحبه أن يضع بين يدي الكاتب المترسل والشاعر الألفاظ على قافية واحد على اختلاف الأبنية^(٣).

قلت: إن كتاب "الصحاح" قد حظي بعناية الدارسين تصحيحاً واستدراكاً واختصاراً وفوائد أخرى. فأما ما كان من استدراك عليه وبيان ما عرض له من الوهم فهي جملة كتب أذكرها بين يدي القارئ:

١- كتاب التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح، وهو أحد الكتابين اللذين عقدنا عليهما هذا المبحث. وكتاب "التنبيه... هذا أسبق" الحواشي التي صنفت في التعليق على "الصحاح"، وهو لابن بري المصري المتوفى سنة ٥٨٢هـ.

٢- كتاب "التكملة والذيل والصلة" للساغاني: رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن... العمري المتوفى سنة ٦٥٠هـ، وهو ثاني هذه "الحواشي"، الذي سيكون مع الكتاب السابق مادة مبحثنا هذا، وقد تلاه في الظهور.

٣- كتاب "نفوذ السهم فيما وقع للجوهري من الوهم" لصلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي وهو شيء من الاستدراك نهج فيه الصفدي نهجاً يقرب مما جرى عليه أن بري في "التنبيه"، إلا أنه زاد عليه شيئاً من فوائد أدبية. وقد أفاد فيه مما ذكره ابن بري فهو يورد كلامه بنصه أو يختصره.

٤- القاموس المحيط لمجد الدين الفيروز آبادي المتوفى سنة ٨١٦هـ. لقد صنف "القاموس" وكان من منهجه أن يتعقب "الصحاح" كما أشار في "مقدمة القاموس". غير أن الدارس لا يمكنه أن يبصر في "القاموس" مواطن الغلط التي أشار إليها في "المقدمة"، ولا نكاد نجد من ذلك إلا شيئاً قليلاً عبر عنه بقوله: "وهم الجوهري" (انظر مادة ثأثاً مثلاً).

ولكن المصنف في المقدمة قد ذكر^(٤): "ثم إنني نيهت فيه على أشياء ركب فيها الجوهري - رحمه الله - خلاف الصواب^(٥)، غير طاعن فيه، ولا قاصد بذلك تنديداً له، وازراء عليه، وغضاً منه. بل استيضاحاً للصواب، واسترباحاً للثواب...".

(٣) انظر كتابنا "مع المصادر في اللغة والأدب" ٤٧/٢-٥٤.

(٤) مقدمة "القاموس المحيط" ص ٤.

(٥) وردت هذه العبارة في مقدمة محقق "كتاب التنبيه... لابن بري على النحو الآتي: =

غير أنه أشار إلى: الأوهام الواضحة والأغلام الفاضحة...". وقد علمنا مما ذكره الزبيدي في "تاج العروس" أن الفيروز آبادي قد أفاد ما استدركه على "الصاح" ونبه على غلظه" من كتاب الصاغاني: "التكملة والذيل والصلة" إلا أنه لم يشر إلى ذلك. وقد أبان الزبيدي عن هذا في ثنايا "معجمه".

وقد انتصر للجوهري مما ناله من الفيروز آبادي غير واحد من المصنفين منهم: أبو زيد عبدالرحمان بن عبدالعزيز المغربي التادلي، نزيل مكة، فقد صنف في ذلك كتابه المشهور بـ"الوشاح وتنقيف الرماح في الرد على "المجد" في توهيم الصاح"^(٦).

ومثل هذا ما صنعه محمد بن مصطفى الشهير بـ"داود زاده" التركي في كتابه "الدر اللقيط في أغلاط القاموس المحيط"^(٧)، ويريد بـ"الأغلاط" ما أشار إليه الفيروز آبادي في غلط الجوهري وضمنه كتابه "القاموس".

ومن مظاهر عناية المتقدمين الدارسين بـ"الصاح" أنهم اختصروه فمن مختصراته:

١- كتاب "مختار الصاح" لمحمود بن أحمد الزنجاني (٥٧٣-٦٥٤٦هـ).

ويصف المؤلف في مقدمته ظروف تأليف كتابه، وهدفه، ومنهجه، فيقول:

"ولما فرغت من كتاب: ترويح الأرواح في تهذيب الصاح... وقع حجمه موقع الخمس من كتابه من غير إهمال شيء من لغته، وكان قد حداني إلى تهذيبه، أعني تجريد لغته من النحو والتصريف الخارجين عن فنه، وحذف ما فيه من حشو وتكرير، وإسقاط ما لا حاجة إليها من الأمثال والشواهد الكثيرة ردم التخفيف والإيجاز، ليسهل حفظه ويقرب ضبطه، ثم نظرت ثانياً، فرأيت

=ثم نبهت فيه إلى (كذا) أشياء ركب فيها الجوهري... والصواب كما في "القاموس":

ثم إني نبهت على أشياء... واستعمال "على" هو الصواب للإشارة إلى الغلط، فقد وردت في كتب المتقدمين: "التنبيه على حدوث التصحيف" و"التنبيهات على... وغيرهما كثير.

(٦) انظر المعاجم العربية ص ٩٧.

(٧) كنت قد عرفت بهذا الكتاب في بحث لي نشر في المجلد الثاني عشر من مجلة المجمع العلمي

العراقي، كما نشرت فيه "باب الهمزة" من هذا الكتاب.

همم بني الزمان ساقطة، ورغباتهم نائمة، وحرصهم وحفظهم كليلاً، فأوجزت إيجازاً ثانياً، حتى وقع حجمه موقع العشر...^(٨).

وهكذا بدا لنا نهج الزنجاني في "مختاره"، فقد عمد إلى حذف الشواهد وبعض المعاني كما حذف طائفة من المواد مع إبعاد التعليقات الصرفية والنحوية وبعض الاشتقاقات.

٢- كتاب "مختار الصحاح" لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، ووافق الفراغ منه - كما قيل في آخره- عشية يوم الجمعة سنة ستين وسبع مئة، وقد اختار من مواد "الصحاح" وقال في مقدمته: "واقترت فيه على ما لا بد لكل عالم فقيه أو حافظ أو محدث أو أديب من معرفته وحفظه لكثرة استعماله وجريانه على الألسن، مما هو الأهم فالأهم، خصوصاً ألفاظ القرآن العزيز، والأحاديث النبوية، واجتنبت فيه عويص اللغة وغريبها طلباً للاختصار وتسهيلاً للحفظ".

وقال أيضاً:

وضمنت إليه فوائد كثيرة من "تهذيب" الأزهري وغيره من أصول اللغة الموثوق بها ومما فتح الله تعالى به علي، فكل موضع مكتوب فيه "قلت" فإنه من الفوائد التي زدتها على الأصل ...

وقال أيضاً:

وكل ما أهمله الجوهري من أوزان مصادر الأفعال الثلاثية التي ذكر أفعالها، ومن أوزان الأفعال الثلاثية التي ذكر مصادرها، فإنني ذكرته، إما بالنص على حركاته أو برده إلى واحد من الموازين العشرين التي أذكرها الآن إن شاء الله تعالى، إلا ما لم أجده من هذين النوعين في أصول اللغة الموثوق بها والمعتمد عليها، فإنني قفوت أثره - رحمه

(٨) المعجم العربي لحسين نصار ص ٤٧٠.

الله تعالى- في ذكره مهماً لئلا أكون زائداً على الأصل شيئاً بطريق القياس، بل كل ما زدته فيه نقلته من أصول اللغة الموثوق بها"^(٩).

واشتهر "مختار" الرازي هذا حتى عمد إلى اختصاره غير واحد من المصنفين^(١٠).

كتب التكملة والحواشي^(١١):

- ١- المنتهى لمحمد بن تميم البرمكي، قيل: إنه صنفه في سنة ٣٩٧هـ، ونقل فيه "الصحاح" وزاد فيه أشياء قليلة، وأغرب في ترتيبه^(١٢).
- ٢- حاشية أبي القاسم الفضل بن محمد القصباني البصري المتوفى سنة ٤٤٤هـ^(١٣).
- ٣- المغرب عما في "الصحاح" والمغرب لعبدالوهاب بن إبراهيم الزنجاني الخزرجي أتمه في سنة ٦٢٧هـ وفصل فيه نص "الصحاح" عن المغرب، وأشار إلى المغرب بـ"م" وإلى "الصحاح" بـ"ص"^(١٤).
- ٤- الجمع بين "الصحاح" و"الغريب المصنف" لأبي إسحاق إبراهيم بن قاسم البطليوسي (٦٤٢ أو ٦٤٦هـ).
- ٥- تاج الأسماء في اللغة: جمع "الأسماء" للزمخشري و"السامي" للميداني و"الصحاح" للجوهري ذكره محمد صديق، ولم يذكر مؤلفه.

(٩) مختار الصحاح للرازي ص ٦-٧.

(١٠) انظر المعجم العربي ص ٤٧٣-٤٧٧.

(١١) ذهبت في أول بحثي هذا إلى أن ما يسمى بـ"التكملة" ليس إلا تعليقاً، وعلى هذا أدخلته في مصطلح "الحواشي"، وسنرى أن طائفة من الفوائد في كتب "التكملة" نجد نظائرها في "الحواشي" وغيرها من كتب هذه "التعليقات" اللغوية.

(١٢) بغية الوعاة ص ٢٨.

(١٣) المصدر السابق ص ٣٧٣.

(١٤) المعجم العربي ص ٤٧٧.

- ٦- حاشية محمد بن علي الشاطبي (٦٨٤هـ)^(١٥).
- ٧- غوامض الصحاح لخليل أيبك الصفدي (٧٦٤هـ)^(١٦).
- ٨- قيد الأوابد من الفوائد لأبي الفضل أحمد بن حمد الميداني النيسابوري (٥١٨هـ) ذهب بروكلمان إلى أنه نقد فيه الجوهري^(١٧).
- ٩- إصلاح الخلل الواقع في "الصحاح" لعلي بن يوسف القفطي (٦٤٦هـ).
- ١٠- نقود أبي العباس أحمد بن محمد المعروف بابن الحاج الإشبيلي (٦٤٧هـ أو ٦٥١هـ)^(١٨).
- ١١- مجمع السؤالات من صحاح الجوهري للمجد الفيروزآبادي (٨١٧هـ)^(١٩).
- على أن العناية بـ"الصحاح" قد انصرفت إلى مسائل أخرى غير التكملة وبيان الخطأ بل تجاوزت ذلك إلى مسائل هي: الدفاع عن "الجوهري" ودرس شواهد، وترجمته إلى الفارسية والتركية.
- ولنعد إلى الكتابين اللذين عقدنا هذا المبحث عليهما فنبدأ بأولهما وهو:

١- كتاب التنبيه والإيضاح عما وقع في "الصحاح":

اشتهر "كتاب التنبيه..." هذا باسم حواشي ابن بري. غير أنه في حقيقة الأمر عمل بدأه ابن القطاع وتوفي سنة ٥١٥ فواصل العمل تلميذه عبدالله بن بري بن عبدالجبار المقدسي المصري فأخذ ما بدأه شيخه وأكماله حتى بلغ مادة (وقش) وتوفي

(١٥) المصدر السابق ص ٤٩١.

(١٦) المصدر السابق.

(١٧) المصدر السابق.

(١٨) البلغة لمحمد صديق حسن ص ١٢٨.

(١٩) المعجم العربي ص ٤٩٣.

سنة ٥٧٢ أو ٥٨٢، ورام أصحابه إكمال العمل فلم يتهيأ ذلك إلى أن أكمله عبدالله بن محمد الأنصاري البسطي في شهور سنة ٦٢٢ هـ^(٢٠).

ويبدأ الكتاب بذكر قول الجوهري في المواد التي علق عليها المصنف، ثم يتبع هذا بالتعليق بقوله:

قال الشيخ أبو محمد - رحمه الله-، والدعاء بالرحمة زيادة ممن خلف الشيخ من طلابه الذين جمعوا هذه التعليقات (الحواشي) فكان "كتاب التنبيه ...".

بدأ ابن بري بمادة "أجا" التي وردت في "الصاح" فقال: قال الشيخ أبو محمد - رحمه الله- ذكر في أوله فصل (أجا) وأهمل فصل (أبا) ...

ثم قال: ... وأهمل أيضاً فصل (أتأ)

وأهمل أيضاً فصل (أثأ) ...

وأهمل أيضاً في هذا الباب (بثأ) وبثاء موضع معروف، وأنشد المفضل:

بنفسي ما عَبَسْتُمْسِ بِنُ سَعْدٍ غَدَاةً بَثَاءِ إِذْ عَرَفُوا الْيَقِينَا

وقد ذكره الجوهري في فصل الباء من المعتل، وهذا موضعه.

أقول: كأن هذه الإشارات القليلة إلى "إهمال" الجوهري لهذه المواد كانت ممن بدأ العمل في تحرير هذه "التعليقات" قبل ابن بري، أي أن ذلك ربما كان من منهجهم، أو أنها مما استرعت نظرهم في بداية الكتاب، حتى إذا بدأ العمل فيها ابن بري سار على منهجه الذي لم يشتمل على ذكر "الفائت" من المواد.

ولعل هذه "الإشارات" القليلة لما فات الجوهري من المواد نبهت الصاغانى وغيره فجعلوا من منهجهم إكمال ما فات الجوهري فكانت كتب "التكملة".

إذن فما منهج ابن بري في "حواشيه"؟

يقوم منهج ابن بري على أنه يعمد إلى شاهد المادة من الشعر في الصاح فينسبه إن كان غير منسوب، ويتمه فيذكر الصدر أو العجز إن كان شطراً، ثم يشرح شيئاً من كلماته التي تقدم فائدة خاصة.

(٢٠) انظر كشف الظنون ٩٣/٤ عن المعجم العربي ص ٤٨٥.

وهنا يبدو للقارئ اهتمام المصنف بالمادة الأدبية، فقد يأتي بعد الكلام على الشاهد بأبيات أخرى يستحسنها فيشير فيها إلى فوائد، وقد يصحح في روايتها إذا شاع وهم في ذلك مثلاً.

ولنضرب أمثلة توضح منهج المصنف وما جاء به من فوائد أدبية وتاريخية في "حواشيه":

١ - جاء في مادة "أوأ":

وذكر (أي الجوهرى) في فصل "أوأ": آء شجر على وزن عاع، واحدته آءة.

قال الشيخ (أي ابن بري) - رحمه الله-: الصحيح عند أهل اللغة أن الآء ثمر السرح، وقال أبو زيد: هو عنب أبيض؛ يأكله الناس، ويتخذون منه ربا.

والعذر للجوهرى في ذلك أنهم قد يسمون الشجر باسم ثمره فيقول أحدهم: عندي في بستاني التفاح والسفرجل والمشمش، وهو يريد الأشجار فيعبر بالثمرة عن الشجرة، ومنه قوله: "فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً"^(٢١).

أقول: إن المصنف أشار إلى وجه الصواب مع أدب جم في أنه التمس العذر الوجيه لما قصر فيه الجوهرى معتمداً على ما جاء في لغة التنزيل.

وذكر المصنف في "تعليقه":

وذكر (أي الجوهرى) في هذا الفصل قول الشاعر:

أصكُ مصلِّم الأذنين أجنى له بالسِّيِّ تَنُّومٌ وآءٌ

قال الشيخ (أي ابن بري) - رحمه الله-: البيت لزهير بن أبي سلمى، وأجنى في البيت فعل ماضٍ، تقديره أدرك أن يُجنى، والتنوم والآء للظلم، أي صار له التنوم والآء جنى يأكله.

وقيل: أجنى أيضاً من صفة الظلم، والتنوم: شجر أغبر، ويروى: "تنوب" وهو شجر عظام يُتخذ منه أجود القطران.

أقول: نسب المصنف الشاهد وشرح ما فيه من الكلم شرحاً مفيداً بذكر هذه الإضافات اللغوية النحوية التي تعين على الفهم.

(٢١) الآيات ٢٧، ٢٨، ٢٩ من: سورة عبس.

وجاء في مادة "ب أ ب أ":

وذكر (أي الجوهرى) في فصل (بأب) البُؤْبُوء: الأصل، ويقال العالم، على مثال السُّرُور.

قال الشيخ (أي ابن برّي) – رحمه الله-: ذكر ابن خالويه البُؤْبُوء – بلا مدّ- على مثال الفلفل، فقال:

البُؤْبُوء: بُؤْبُوء العين.

والبُؤْبُوء: السيّد

والبُؤْبُوء: الأصل

وأنشد على "البُؤْبُوء" بمعنى السيّد قول الراجز في صفة امرأة:

قد فاقت البُؤْبُوء والبُؤْبُوء

والجلد منها غِرْقِيّ الفُؤَيْفِيَّة

قال ابن خالويه: البُؤْبُوء السيّد، والبُؤْبُوءِيَّة: السيّدة، فهذا قول ابن خالويه، أعني البُؤْبُوء بغير مدّ، وكذا ذكره ابن فارس، وأنشد لجرير:

في بُؤْبُوءِ المجدِ وبُحْبُوحِ الكَرَمِ

وأما القالي فإنه أنشده:

في ضِئْضِئِ المجدِ وبُؤْبُوءِ الكَرَمِ

فعلى هذه الرواية يصح ما ذكره الجوهرى من كونه على مثال سرسور، وكانهما لغتان.

أقول: وهذا نموذج من "تعليقاته" التي تظهر أنه لا يتعجل القول بـ"الخطأ"، وأنه يتحرى العلم مع الحق والعدل والنصفية، وأنه "يكمل" ما فات الجوهرى من ذكر المعاني للكلمة التي لم تستوف في "الصحاح".

وجاء في مادة "ب ك أ":

وذكر (أي الجوهرى) في فصل (بكأ) عجز بيت لسلامة بن جندل شاهداً على "بَكُوَّتِ الناقَةِ" بمعنى قلّ لبنُها، وهو:

ولو تعادى بَبْكَء كلُّ محلوبٍ

قال الشيخ - رحمه الله-: صدره:

يقال مَحْبِسُهَا أدنى لمرْتَعِها

وقبله:

وشدَّ كُورٍ على وِجَاءِ ناجيةٍ وشدَّ سرجٍ على جِرداءِ سُرْحُوبٍ

وأراد "محبسها" أي حبس هذه الإبل والخيل على الحرب ومقاتلة العدو على الثغر، أدنى وأقرب من أن ترتع وتخصب ويضيع الثغر في إرسالها لترعى وتخصب.

أقول: لقد أكمل الشاهد بذكر صدر البيت مع البيت الذي قبله، وذكره مفيد، فقد شرح البيت، والشرح يتطلب هذه الزيادة المفيدة.

وجاء في مادة "ح و ب":

وذكر (أي الجوهرى) في فصل (حوب) بيتاً شاهداً على "الحوبة" بمعنى الهم

والحاجة، وهو:

فهب لي خنيساً واتخذ فيه منة لحوبة أم ما يسوغ شرابها

قال الشيخ - رحمه الله-: البيت للفرزدق، وكانت امرأة عاذت بقبر أبيه غالب، فقال لها: ما الذي دعاك إلى هذا؟ فقالت: إن لي ابناً بالسند في اعتقال تميم بن زيد القيني وكان في اعتقال خالد القسري على السند فكتب من ساعته إليه:

كتبتُ وعجَّلتُ البرادةَ إنَّني ولي ببلادِ السِّندِ عند أميرها
أنتنني فعاذت - ذاتُ شكوى- بغالبِ فقلتُ لها إيه اطلُّبي كلَّ حاجةٍ
فقلتُ بحزنٍ حاجتي إنَّ واحدي فخبَّسَ بأرضِ السِّندِ حَوَى سحابها
فهب لي خنيساً واتخذ فيه منة لحوبة أم يسوغ شرابها
تميم بن زيد لا تكونن حاجتي بظهرٍ، ولا يعيا عليَّ جوابها
ولا تقلبن ظهراً لبطنٍ صحتي فشاهدُها فيها عليك كتابها

فلما ورد الكتاب على تميم قال لكتابه: أتعرف الرجل؟ فقال: كيف أعرف من لم ينسب إلى أب ولا قبيلة؟ ولا تحققت اسمه: أهو خنيس أم حبيش؟ فقال: أحضر كل من اسمه خنيس أو حبيش، فأحضرهم فوجد عدتهم أربعين رجلاً، فأعطى كل واحد ما يتسفر به، وقال: اقلوا إلى حضرة أبي فراس.

أقول: كان البيت الشاهد الذي نسبه ابن بري إلى الفرزدق حافظاً بل موجباً إلى أن يعرض للمناسبة التي قيلت من أجلها المقطوعة.

إن هذه التعليقة مفيدة فائدة أدبية تاريخية، فهي مثل من الأمثلة التي تبرز قيمة الشاعر في المجتمع القديم إلى جانب قيمة الشعر من الناحية الأدبية التاريخية، وهذا يعني أن لمنزلة الفرزدق ومروءته وخلقه الأثر الكبير فيما عرض لتلك المرأة من ظلامه، ولم يتم لها قضاء هذه الحاجة لولا هذا الذي أقدم عليه الفرزدق، إن هذا الأثر الكبير ليتضح في موقف تميم بن زيد عامل خالد القسري على السند، وكيف كان اهتمامه بالرسالة، وأنه أصبح في حرج في كل من اسمه خنيس أو حبيش، وذلك لأنه هو وكتابه لم يهتديا إلى المقصود، فاضطرا أن يخليا سبيل كل من اسمه خنيس أو حبيش.

ثم فائدة أخرى فنية تاريخية تتصل برسم الحرف العربي في العصر الأموي الذي عاش فيه الفرزدق، وهي أن إعجام الحرف وإهماله كانا مشكلة تؤدي إلى نتائج خاصة، وعلى هذا ألا يحق لنا أن نقول: كم حمل هذا الأمر من الضيم على الخبر القديم في الإعلام، ألم يصحف عيلان مثلاً إلى غيلان أو العكس؟

وماذا نقول في : حبيب وخبيب، وبسر وبشر، إن شيئاً من ذلك قد ولد من الأمر المشكل ما حفز أهل العلم إلى أن يصنفوا في باب "المشتبه" و"المختلف والمؤتلف".

ولا نستبعد أن يكون شيء من ذلك قد دخل في متن اللغة وأصله ضرب من التصحيف!! ومثل هذه "التعليقات" ذات الفائدة الأدبية التاريخية الشيء الكثير مما نستجليه في المواد اللغوية في "كتاب التنبيه...".

ولنختم هذا الباب فتعرض لمادة "ط ب ب" فقال:

وذكر (أي الجوهري) في فصل (طبب) بيتاً للمرار شاهداً عل أن كل حاذق يقال له: طبيب، وهو:

تدين لمزور إلى جنب حلقة من الشبّه سواها برفقٍ طبيها

قال الشيخ - رحمه الله- البيت للمرار بن سعيد الفقعسي، وليس بالمرار بن منفذ الحنظلي، ولا بالمرار بن سلامة العجلي، ولا بالمرار بن بشير الدهلي، وسأشير إلى شرحه بأوفى من هذا في فصل (زرر). ومعنى "تدين" "تطيع" و"المرور" الزمام المربوط بالبرة، وهو معنى قوله: ... حلقة من الشبّه...

وهو الصفر، أي تطبع هذه الناقاة زمامها المربوط إلى برة أنفها.

ومثل هذه الفوائد الأدبية التاريخية الكثير الذي نجده في أغلب المواد التي عرض لها ابن بري في "تعليقاته". ولك أن تفيد من المواد: شعب، وعرقب، وكرب، وغوث، وحوج، وربح.

قلت: إن طائفة من "التعليقات" تزودنا بفوائد لغوية نحوية وتاريخية، ولنعرض لشيء من ذلك على سبيل المثال:

جاء في مادة "شي ي أ":

وذكر في فصل (شيء): إن الخليل يرى أن أشياء فعلاء جمع على غير واحدة كما أن الشعراء جمع على غير واحدة.

قال الشيخ - رحمه الله-: حكايته عن الخليل أنها جمع على غير واحدة كشاعر وشعراء وهم منه، بل واحداً شيء، وليست أشياء عنده بجمع مكسر، وإنما هي اسم واحد بمنزلة الطرفاء، والقصباء، والطفاء، ولكنه يجعلها بدلاً من جمع مكسر بدلالة إضافة العدد القليل إليها كقولهم: ثلاثة أشياء.

وأما جمعها على غير واحداً فمذهب الأخفش، لأنه يرى أن "أشياء" وزنها "أفعلاء" وأصلها أشياء فحذفت الهمزة تخفيفاً، وكان أبو علي يجيز قول أبي الحسن على أن يكون واحداً "شيئاً"، ويكون "أفعلاء" نحو: سمح وسمحاء، وهو وهم من أبي علي لأن "شيئاً" اسم، و"سمحاً" صفة بمعنى سميح، لأن اسم الفاعل من "سمح" قياسه سميح، وسميح يجمع على سمحاء كظريف وظرفاء، ومثله خصم وخصماء لأنه في معنى خصيم.

والخليل وسيبويه يقولان: أصلها شيناء، فقدمت الهمزة التي هي لام إلى أول الكلمة: فصارت أشياء، فوزنها على هذا لفعاء، ويدل على صحة هذا أن العرب قالت في تصغيرها أشيَاء، ولو كانت جمعاً مكسراً كما ذهب إليه الأخفش لقل في تصغيرها شَيِّئَات كما يفعل ذلك في الجموع المكسرة كجمال وكعاب وكلاب، تقول في تصغيرها: جُمَيْلات وكُعَيْبات وكُلَيْبات، فتردها إلى الواحد، ثم تجمعها بالألف والتاء.

وجاء في مادة "و ح د".

وذكر (أي الجوهري) في فصل "وحد": أن "وَحَدَه" في قولك: رأيتُه وحَدَه، منصوب عند أهل الكوفة على الظرف، وعند أهل البصرة على المصدر.

قال الشيخ – رحمه الله-: أما أهل البصرة فينصبونه على الحال، وهو عندهم اسم واقع موقع المصدر المنتصب على الحال، مثل: جاء زيد ركضاً أي راكضاً، ومن البصريين من ينصبه على الظرف، وهو مذهب يونس، وليس ذلك مختصاً بالكوفيين كما زعم ...

وهذا النمط من التعليقات اللغوية نجده مبعوثاً في مواد كثيرة من كتاب "التنبيه ... ومنها: سلب و صوب و عتب و نصب و ملح و نبح و نصح و أمس ...

على أن في "التعليقات" ما يشير إلى صواب نسبة شاهد كما في مادة "وجد يجد"، بضم الجيم في المضارع، والشاهد هو قول لبيد كما زعم الجوهري في "الصاح":

لو شِئْتَ قد نَقَعَ الفؤادُ بِشْرِيَةَ تَدَعُ الصَّوادي لا يَجْدُنَ غليلاً

قال الشيخ – رحمه الله-: البيت لجريير وليس للبيد كما زعم، وبعده:

بالعذب في رَضَفِ القِلاتِ مَقِيلُهُ قَضُ الأباطحِ لا يزال ظليلاً

قوله: نفع الفؤاد أي روى ..

عود إلى "الكتاب" ومقدمة المحقق.

أقول: لقد بذل الأستاذ المحقق من الجهد الصادق والعمل المتقن ما هياً لهذا العلق النفيس أن يأتي على خير صورة من الضبط في النص بالإفادة من الأصول

المخطوطة ولسان العرب، وبما زين النص بالفوائد السننية التي ظهرت في حواشي المحقق. ولا بد لي أن أقف على أشياء يسيرة لا تنال من هذه الديباجة المشرقة شيئاً ما. أقول: وقفت وقفات لا بد من بسطها في هذا الموجز:

جاء في كلمة صاحب التصدير الأستاذ علي النجدي ناصف - رحمه الله -:

فهل يرجى أن تتولى الجمع بينهما (أي الصحاح وحواشيه) على هذه الصورة دار من النشر العتيدة، تحفزها رغبة خالصة في استحياء التراث!!

أقول: حرت والله في إدراك معنى "العتيدة"، ما المراد منها؟ الذي أعرفه أن "العتيد هو المعد الحاضر، ومنه ما جاء في لغة التنزيل: "هذا ما لدي عتيد" ٣، سورة (ق). كأنه يعني ما كتبه من عمله حاضر عندي.

فهل تكون دور النشر حاضرة معدة، إذا كان هذا هو المراد فليس للصفة فائدة، ذلك أن دور النشر معنية بالنشر للكتب!!

أقول: لعل هذه الكلمة التي ران عليها ضباب الشيوخ قد غام شيء من حقيقتها!

ثم إنني وقفت ثانية على "استحياء التراث"!

أقول: الذي أعرفه من هذه الكلمة ما جاء في قوله تعالى: "... ويستحيون نساءكم" ٤٩ سورة البقرة. أي يستبقونهن، واستحياء: استبقاه حياً.

ولم أقف على ما يريده الأستاذ الجليل - رحمه الله - في قوله "استحياء التراث" بمعنى إحياء التراث!

إذا كان هذا هو المراد فلم عدل عن "الإحياء" إلى "الاستحياء" التي أفادت ما صرحت به الآية الكريمة؟

ولنأت الآن إلى "المقدمة" لنجد المحقق الفاضل في الحاشية (١) من الصفحة الخامسة يقول:

١- تضبط الصاد من كلمة "الصحاح" بالكسر على أنه جمع صحيح مثل كريم وكرام، وبالفتح صفة بمعنى صحيح مثل شحيح وشحاح وبجيل وبجال، وهو من الأمثلة التي عدها ابن السكيت مما جاء على فعيل وفعال بمعنى، وانظر إصلاح المنطق ١٠٧، ١٠٨.

أقول: هذه الحاشية صحيحة وإن ما في "إصلاح المنطق" من فصيح العربية، ولكنني أتساءل فأقول: هل جاء في الخبر أن كتاب الجوهرى قد ورد بفتح الصاد "الصاح" وأن أحداً م المتقدمين قد نص على هذا الوجه؟

إذا كان شيء من هذا فكان على المعنيين بـ"الصاح" ذكره.

غير أنني لم أقف على شيء من ذلك، ثم أتساءل فأقول: إذا كان الجوهرى أراد المفرد بفتح الصاد فلم لم يجعله "الصحيح" أسوة بـ"صحيح" البخاري و"صحيح" مسلم وغيرهما؟ هذا مجرد تساؤل.

٢- وجاء في الصفحة السادسة من "المقدمة" قول الأستاذ المحقق في الكلام على النظام الذي اتبعه الجوهرى في "الصاح":

... فقد رتبت الجذور اللغوية على الحرف الأخير منها ...

أقول: من غير شك أن المحقق قد أراد بـ"الجذور اللغوية" ما سماه ابن بري "فصولاً" وما نسميه في عصرنا بـ"المواد اللغوية" وما سمي قديماً أيضاً "الأصول اللغوية".

ولا أرى حاجة أن نستعمل "الجذور" فهي دخيلة منقولة بالترجمة عن الفرنسية Les racines أو عن الإنجليزية The roots.

أقول: إذا كنا نملك الكلمة العربية الفصيحة مصطلحاً دقيقاً جرى عليه المتقدمون ومن خلف من بعدهم فهلا نركب شططاً إذا صرنا إلى جديد وافد علينا!!

٣- وجاء في الصفحة الخامسة عشرة قول الأستاذ المحقق:

ترى بعد هذا الذي أسلفناه - وبناء عليه- هل يسوغ لنا أن نكمل حواشي ابن بري من رواية ابن منظور لها في "لسان العرب"؟

أقول: أيقن لنا أن نستبعد عبارة: "وبناء عليه" من هذه المقدمة الجميلة المفيدة، لأنها لا تليق بها، فهي عبارة من العبارات الدارجة في لغة الدواوين، فما أحرانا باستبعادها.

٤- وجاء في الصفحة نفسها قول المحقق:

إننا نستطيع أن نستقري (كذا) نقول ابن منظور عن ابن بري ...

أقول أراد بقوله: "نستقري" نتتبع، والصواب: نستقري بالياء، ولم يعرض هذا الوهم للكتاب إلا بتوهم أصالة الهمزة التي وجدوها في المصدر "استقراء"، وحقبة الهمزة في "الاستقراء" أنها من الياء كالمهمزة في "بناء" و"استحياء".
ومن يدري فلعلنا في يوم ما سنصير إلى الفعل "استبقاً" نأخذه على توهم أصالة الهمزة في "استبقاء".

أقول: إذا جاز أن نقول "نستقري" خطأ فلا بد أن نصير إلى خطأ مثله آخر!
٥- وجاء في الصفحة التاسعة والثلاثين من "المقدمة" استعمال المحقق كلمة "حياة" لتعني "سيرة" المؤلف.

أقول: و"الحياة" وافدة علينا من ترجمة الكلمة الفرنسية La vie أو من الكلمة الإنكليزية The life. وإذا كان المتقدمون قد استعملوا "السيرة" و"السير" لما نستعمله من لفظة "الحياة" فلم نلجأ للكلمة الجديدة التي تقابل هذه الكلمة الأصلية.
٦- وجاء في الصفحة الثامنة والأربعين من "المقدمة" قول القفطي:

لما دخلت نسخة "الصاح" إلى مصر نظرها الناس فاستجدوا قرب مأخذها. وقد علق المحقق فقال: استجد جاء بالواو على أصله كما جاء استروح واستصوب واستحوذ.

أقول: ليس في العربية "استجد" والذي جاء على مثاله استحوذ واستصوب واستصاب واستجوب واستجاب. ومن يدري فلعله لغة سائرة في زمان القفطي، وقد جدت قياساً على نظائرها.

٧- وجاء في الصفحة الرابعة من الكتاب في مادة (أوأ):

قال الشيخ - رحمه الله-: ...

وقال أبو زياد: ...

وقد علق المحقق في حاشيته: في "اللسان" و"التاج": أبو زيد.

أقول: والصواب ما في "اللسان" و"التاج"، وكان الأولى بالمحقق أن يثبتته ويشير إلى ما جاء في الأصول المخطوطة في الحاشية، وذلك لأن "أبا زيد" يكون في هذا النص، وإن "أبا زياد" نكرة لا نعرف من أمره شيئاً بين اللغويين والنحاة.

٢- كتاب "التكملة والذي والصلة" لكتاب "تاج اللغة وصحاح العربية" للحسن بن محمد بن الحسن الصغاني^(٢٢).

بدأ المحقق الأول بكلمة "تصدير" بقلم الدكتور إبراهيم مدكور الأمين العام لمجمع اللغة العربية تكلم فيه على التراث اللغوي وجهد "المجمع" في نشره وإحيائه وإن من هذا الجهد اعتزاه نشر طائفة من معجمات العربية، فكان أحدها كتاب "التكملة" هذا، وعهد إلى نخبة من أهل التحقيق للقيام بهذا العمل. واستهلك هذا التصدير صفحتين.

ثم كان "التقديم" بقلم الأستاذ عبدالحميد حسن عضو المجمع، فتكلم في صفحتين عن (ذخائر الثقافة العربية الحافلة بـ"قيم" المؤلفات في اللغة والعلم والأدب وشتى فروع المعرفة التي كانت ولا تزال هادياً للباحثين.

وقد ظلت هذه الذخائر عبر الأجيال ترسل أشعتها ثاقبة تارة وخافتة تارة أخرى ... حتى أتاح الله لبعضها من عرف قدرها فبذل جانباً من الرعاية والعناية وأخرجها (...)^(٢٣).

ثم تكلم على جهد المجمع في حفظ اللغة العربية لغة القرآن ... لقد استوعبت هذه الديباجة الصفحة الأولى من "التقديم"، فانتقل في الصفحة الثانية إلى الكلام عن مؤلف الكتاب وهو الصغاني، فكانت ترجمة موجزة لسيرته وبيان طائفة من "مصنفاته".

أما الكلام على "الكتاب" أي "التكملة" فقد استعار صاحب التقديم ما كتبه الصغاني نفسه في آخر "التكملة"، وقد استوفى أكثر من صفحة ونصف صفحة.

وبعد هذا كله جاء "منهج التحقيق" وهو الكلام على النسخ المخطوطة الأربع، فكان لهذا القسم ثلاث صفحات.

(٢٢) شارك في تحقيق هذا المعجم ثلاثة من الأساتذة، فكان الجزء الأول والرابع بتحقيق عبدالعليم الطحاوي ومراجعة الأستاذ عبدالحميد حسن عضو المجمع، والجزءان الثاني والخامس بتحقيق إبراهيم الأبياري ومراجعة الأستاذ محمد خلف الله، والجزءان الثالث والسادس بتحقيق أبي الفضل إبراهيم ومراجعة الدكتور مهدي علام.

(٢٣) تقديم "التكملة" ص ٧.

أقول: لم يجد المؤلف أن الضرورة تدعو إلى دراسة الكتاب والوقوف على منهج صاحبه وكيف كان عمله، ثم الكلام على علاقة هذا العمل الكبير بالأعمال المماثلة التي سبقته.

لم يكن شيء من هذا، ولنبدأ العمل على بركة الله – سبحانه- فنعرض للكلمة التي ذيل بها الصاعاني "تكملمته" وهذا شيء منها:

"قال الملتجئ إلى حرم الله تعالى الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني تجاوز الله عنه، هذا آخر ما أملاه الحفظ وأمله الخاطر من اللغات التي وصلت إلي، وغرائب الألفاظ التي انثالت علي، وهذا بعد أن علتني كبرة وأحطت بما جمع من كتب اللغة خيراً وخبرة، ولم آل جهداً في التقرير والتحريير والتحقيق وإيراد ما هو به حقيق، وإخراج ما لا تدعو الضرورة إلى ذكره، حذراً من اضجار متألميه، وتخفيفاً على قارئيه، وإن كان ما من الله تعالى به من التوسعة ومنحه الاقتدار على البسط وزيادة الشواهد من فصيح الأشعار وشوارد الألفاظ إلى غير ذلك مما أعجز عن أداء شكره ليكون للمتأدبين معيناً، ولهم على معرفة لغات الكلام الإلهي واللفظ النبوي معيناً، فمن رابه شيء في هذا الكتاب فلا يتسارع إلى القدح والتزييف، والنسبة إلى التصحيف والتحريف، حتى يعاود الأصول التي استخرجت منها، والمآخذ التي أخذت على تلك الأصول، وإنها تربي على ألف مصدر من كتب الحديث: كغريب أبي عبيدة وأبي عبيد والقتبي والخطابي والحربي، والفائق للزمخشري، والملخص للباقرجي والغريب للسمعاني وجمل الغرائب للنيسابوري، ومن كتب اللغة والنحو ودواوين الشعراء وأراجيز الرجاز وكتب الأبنية وتصانيف محمد بن حبيب كالمنمق والمؤتلف، وما جاء اسمين أحدهما أشهر من صاحبه، وكتاب الطير وكتاب النخلة وجمهرة النسب لابن الكلبي ...

وهكذا يستمر المصنف فيذكر من أسامي الكتب التي أفاد منها ما استوعب أكثر من صفحة من الكتاب.

وهذا كل ما جاء في مقدمة صاحب "التقديم" لهذا الكتاب الذي يخرج محققاً أول مرة، وكنت أطمع في زيادة توضيح وتشرح وتبين ما يتصل بالنهج الذي سار عليه المؤلف مثلاً، وفي أشياء أخرى تتصل بأصول الكتاب الخطية.

ولنعد إلى مقدمة الصغاني نفسه لنرى ما عرض فيها:

قال الملتجئ إلى حرم الله تعالى، الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني أعاده الله من أن يهوي إلى هوى قلبه، أو يعتقد منعماً سوى ربه:

هذا كتاب جمعت فيه ما أهمله أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري - رحمه الله- في "كتابه"، وذيلت عليه، وسميته كتاب "التكملة والذيل والصلة"، غير مدع استيفاء ما أهمله، واستيعاء ما أغفله، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وفوق كل ذي علم عليم وكم ترك الأول للأخر ...

ولنعد إلى "الكتاب" فنتحري ما أوجزه المصنف في "مقدمته".

١- إن الكتاب اشتمل على قدر كبير من المواد التي أهملها الجوهري، وكنت قد اقتصرت في مبحثي هذا على الجزء الأول من الكتاب، فكان هذا شيئاً من ربع مواد الجزء.

أقول: إن ذكر "المهمل" هذا يجعل صنيع الصاغاني "تكملة وذيلاً وصلة" بحق، وسأتي على هذا القدر مما أهمله الجوهري في هذا الجزء لأقول فيه بعض الفوائد.

٢- ومن فوائد الكتاب الأخرى المعاني والأبنية التي لم يذكرها الجوهري حين أورد موادها وهذا قدر كبير، وهو يعني أن الجوهري اجتزأ بشيء من المعاني والأبنية وأهمل ما سوى ذلك، أنت تقف على هذا في أغلب ما اشتمل عليه كتاب "التكملة ...".

ودونك مادة (جياً):

شمر: جَيَّاتُ الْقَرْبَةِ: خَطُّهَا. وَأَنْشُدَ الْجُمَيْح:

تَخَرَّقَ تُعْرُهَا أَيَّامَ خُلَّتْ عَلَى عَجَلٍ فَجِيَّبَ بِهَا أَدِيمُ
فَجَيَّأَهَا النَّسَاءُ فَخَانَ مِنْهَا كَبَعَثْنَا وَرَادَعْنَا رَدُومَ

الرادعة: الأست. والردوم: الضروط.

وقال ابن الأعرابي: جاياني الرجل من قرب أي قابلني: وَمَرَّ بِي مُجَابِئَةً أَي مُقَابِلَةً.

وقال أبو زيد: جَيَّاتُ فَلَانًا أَي وَافَقْتَ مَجِيئَهُ ...

والجِيَاءُ بالفتح: الموضع الذي يجتمع فيه الماء، وكذلك الجِنَّةُ مثال الجِعة،
والثانية محذوفة على وزن عدة، قال الكميت:

والجِيَاءُ موضع أو منهل، وأنشد شمر:

وفي كتاب الحروف لأبي عمرو الشيباني:

الجِيئة: الدم والقيح. وأنشد البيت: فجياًها النساء ...

أقول: إنك ترى المصنف يذكر المعنى مسنداً إلى أحد المتقدمين من اللغويين،
ويأتي بالشاهد فيعرض لمواده اللغوية بالشرح والفوائد الأخرى.

٣- وهو حين يذكر ما تركه الجوهري من الكلم والمعاني نجده في أغلب
الأحيان ناقداً مصححاً.

قلت إن الصاغاني في مواد كثيرة ناقد مصحح، يشير إلى موطن الخطأ فيذكر
الصواب، كما يشير إلى سوء وضع الكلمة لأنها وردت مهموزة وهي معتلة أو
العكس مثلاً، ولنعرض لشيء من ذلك:

جاء في مادة (جياً):

وقول الجوهري: جاءني على "فاعلني" غلط والصواب جايأني لأنه معتل
العين مهموز اللازم لا على العكس.

ومثل هذا ما جاء في مادة (تأب) قول المصنف:

ذكر الجوهري التَّوَابِئِينَ في هذا الفصل، والتاء في التَّوَابِئِينَ غير أصلية
وموضعها فصل الواو.

٤- وهو ينسب الشاهد إلى الشاعر إن لم يكن منسوباً، وقد يصحح أو يكمل في
رواية البيت. وقد يكون الشاهد شطراً من بيت فيأتي بما يكمله. ويذكر رواية
للبيت إن كانت له رواية معروفة شائعة، وقد يصحح في لفظه ويشرح معناه
وشيئاً من كلمه، كما يأتي أحياناً على ذكر المناسبة التي قيل فيها البيت أو
المقطوعة مثلاً، ولنعرض لشيء من ذلك على سبيل المثال:

ذكر في مادة (بأبأ):

قال الجوهري: بَأْبَأْتُ الصَّبِيَّ: إذا قلت له: بأبي أنت وأمي، قال الراجز:

وصاحبٍ ذي عَمْرٍةٍ داجِبِيئُهُ

بَابَأْتُهُ وَإِنْ أَبِي فَدَيِّئُهُ

حَتَّى أَتَى الْحَيَّ وَمَا آدِيئُهُ

قال الصغاني: وبين قوله: "داجِبِيئُهُ" وقوله: "بَابَأْتُهُ" مشطور وهو:

زَجِيئُهُ بِالْقَوْلِ وَازْدَجِيئُهُ

وجاء في مادة (بدأ):

وأُشْدَ الجوهري للكميت في هذا التركيب:

فكأنما بُدِنَتْ ظواهر جِلْدِهِ مما يُصافِحُ من لهيبِ سِهَامِهَا

قال الصغاني: وليس للكميت على هذا الروي شيء.

وجاء في مادة (بكأ):

فليأزِلَنَّ وتبكوُنَنَّ لِقاحُهُ وُيعَلَلَنَّ صبيَّهُ بسَمَارِ

والرواية: وليأزِلَنَّ بالواو منسوقاً على ما قبله وهو:

فليضربَنَّ المرءَ مفرِقَ خالِهِ ضربَ الفقارِ بمَعُولِ الجَزَارِ

والبيتان لأبي مَكْعِثِ الأَسَدِيِّ.

وجاء في مادة (حلا):

وأُشْدَ الجوهري لامرئ القيس في هذا التركيب:

كَمَشِي أَتَانِ حُلْنَتْ عَنْ مَنَاهِلِ

والرواية: كَمْشِي الاتانِ حُلَّتْ بِالمناهِلِ

وصدره: وَأَعْجَبَنِي مَشِي الحِرْقَةَ خالِدِ.

وروى أبو عبيدة: ويا عَجَبِي يمشي الحِرْقَةَ خالِدُ.

وجاء في مادة (زأأ):

قدر زُوْزِنَةٌ وزُوْزِنَةٌ، بالهمز، العظيمة الواسعة، وذكرها الجوهري في المعتل، وهي مهموزة من الزأزة، وهي الضمّ، قال أبو حزام غالب بن الحارث العكلي:

وعندي زُوْزِنَةٌ وأُبَّةٌ تُوْزِيُّ بالدَّأثِ ما تَهْجُوهُ

أَي تُضَمُّ.

وجاء في مادة (نساء):

وقال الجوهري: قال عروة بن الورد العبسي:

سَقَوْنِي النَّسَاءَ ثُمَّ تَكَنَّفُونِي عُدَاةَ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ

والرواية: النَّسِي، بالكسر غير مهموز، أي مُسْكَراً أنساه العقل، ويقال لكل مسكر: نَسِي، وذلك أنهم سَقَوْهُ الخمرَ وطلبوا إليه أن يفتدوا منه امرأته أم وهب لأنه كان سبهاها، فلما سكر أجابهم إلى ذلك.

وجاء في مادة (حبيب):

وقال الجوهري: قال هُدْبَةُ بن الخَشْرَم:

فما وَجَدتْ وَجَدِي بها أُمُّ واحِدٍ ولا وَجَدَ حُبِّي بابنِ أُمِّ كِلابِ

قال الصغاني: وليس البيت لهدبة؟

وجاء في مادة (حسب):

وقال الجوهري: قال الشاعر:

وَنُقْفِي وَلَيْدَ الْحَيِّ إِنْ كَانَ جَائِعاً وَنُحْسِبُهُ إِنْ كَانَ لَيْسَ بِجَائِعٍ
وَالصَّوَابُ: قَالَتْ امْرَأَةٌ، فَإِنَّ الْبَيْتَ لَامْرَأَةٍ مِنْ قَيْسٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ الْعَبَّاسِ.
وَجَاءَ فِي مَادَةِ (شَيْب):
قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ فِي قَوْلِ عَدِيِّ:
وَالرَّأْسُ قَدْ شَابَهُ الْمَشِيبُ
وَلَيْسَ الشَّعْرُ لِعَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ وَلَا لِعَدِيِّ بْنِ الرَّقَاعِ.
أَقُولُ: وَفِي " كِتَابِ التَّنْبِيهِ وَالْإِيضَاحِ ... " لِابْنِ بَرِيٍّ، الَّذِي تَحَدَّثْنَا عَنْهُ فِي هَذَا
الْمَبْحَثِ، أَنَّ الْبَيْتَ لِعَبِيدِ بْنِ الْأَبْرَصِ، وَصَدْرَهُ:
"تَصْبُو وَأَنْى لَكَ التَّصَابِي" وَانظُرْ ج ١ ص ١٠١ مِنَ الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ.
وَجَاءَ فِي مَادَةِ (طَبَب):
وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: قَالَ الْكَمِيتُ:
وَمَا إِنْ طَبَّنَا وَلَكِنْ مَنَايَانَا وَدَوْلَةٌ أَحْرَيْنَا
قَالَ الصَّغَانِيُّ: وَلَيْسَ الْبَيْتُ لِلْكَمِيتِ، وَإِنَّمَا هُوَ لِفَرُوهَ بْنِ مُسَيْكٍ، وَلِلْكَمِيتِ قَصِيدَةٌ
عَلَى هَذَا الْوِزْنِ وَالرُّوْيِ أَوْلَاهَا:
الْأَحْيَيْتِ عَنَّا يَا مَدِينَا
وَجَاءَ فِي مَادَةِ (عَرَب):
قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: وَالْعَرَبَةُ النَّفْسُ، قَالَ الشَّاعِرُ:
لَمَا أَتَيْتُكَ أَرْجُو فَضْلَ نَائِلِكُمْ نَفَحْتَنِي نَفْحَةً طَابَتْ بِهَا الْعَرَبُ
قَالَ الصَّغَانِيُّ: وَالْبَيْتُ مُعَيَّرٌ، وَهُوَ لِابْنِ مَيَّادَةَ يَمْدَحُ الْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدَ، وَالرُّوَايَةُ:
لَمَا أَتَيْتُكَ مِنْ نَجْدٍ وَسَاكِنِهِ نَفَحْتَ لِي نَفْحَةً طَارَتْ لَهَا الْعَرَبُ
وَجَاءَ أَيْضاً فِي هَذِهِ الْمَادَةِ:
وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: وَعَرَابَةٌ، بِالْفَتْحِ، اسْمُ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنَ الْأَوْسِ، قَالَ
الْحَطِيبَةُ:

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ باليمين

قال الصغاني: وليس البيت للحطيئة وإنما هو للشماخ.

وذكر المبرد وابن قتيبة ومحمد بن سعد: أن الشماخ خرج يريد المدينة فلقبه عَرَابَةٌ بِنُ أوس فسأله عما أقدمه المدينة، فقال: أردت أن أمتار لأهلي، وكان معه بغيران، فأوقرهما عرابة تمرأً وبرأً وكساءً وأكرمه، فخرج من المدينة وامتدحه بالقصيدة التي يقول فيها:

رأيتُ عَرَابَةَ الأوسِيَّ يسمُو إلى الخيراتِ منقطعَ القرين
إذا ما راية ...

وأختم هذه الفوائد بما جاء في مادة (حتت):

قال الجوهري: وأما قول الفرزدق:

فإنَّكَ واجدٌ دوني صَعودا جراثيمَ الأفاعِرِ والحُتاتِ

فيعني به حُتاتَ بِنَ زيد المجاشعيِّ. وإنما هو حُتاتُ بِنُ يزيد، وحُتاتُ لقب، واسمه بَشْرٌ.

٥- وقد يذكر الحديث فيعلق عليه وقد يصححه كما ورد في مادة (خلأ):

وقال الجوهري: وفي حديث سُرَاقَة: "ما خَلَأْتُ ولا حَرَنْتُ ولكن حبسها حابس الفيل".

قال الصغاني: ونسبة الحديث إلى سُرَاقَة سهو، وإنما هو حديث النبي - صلى الله عليه وسلم- قاله عام الحُدَيْبِيَّة، رواه المِسْوَرُ ابن مَحْرَمَة ومروان بن الحكم.

ولنعد إلى ما أهمله الجوهري وذكره الصغاني فنقول: إنه اشتمل على مواد ثلاثية وأخرى رباعية، فأما الثلاثية فهي طائفة كبيرة. وكان الجوهري أراد أن يستبعد من "الصحاح" الغريب الذي يندرج في باب "النوادر". وسنعرض لهذه المواد التي أهملها ووردت في الجزء الأول من كتاب "التكملة..." فقط لنتبين هذا الغريب "النادر". وقد أورد الصاغاني هذا "المهمل"، وهو حين يذكره بقوله: "أهمله الجوهري" يعقبه بقول لأحد المتقدمين من اللغويين فيه، كأن يقول في "جلاً": "وأهمله الجوهري، وقال أبو زيد: جلأت به الأرض أي ضربت ...

ودونك المواد الثلاثية التي أهملها الجوهري ووردت في الجزء الأول من
"التكملة":

تفأ: أهمله الجوهري، يقال: تَفَى بالكسر تَفَأً إذا احْتَدَّ وِعَضِبَ.

جلاً: أهمله الجوهري، وقال أبو زيد ...

جماً: أهمله الجوهري، وقال أبو عمرو: النَّجْمُ ...

خفأ: " " ، وقال الليث ...

دبأ: " " ، وقال أبو زيد ...

رتأ: " " ، وقال ابن دريد ...

زوأ: " " ، وقال أبو عبيد ...

ستأ: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

سدأ: " " ، وقال الكسائي ...

سطأ: " " ، وقال ابن بزرج ...

شسأ: " " ، وقال الأزهري ...

شكأ: " " ، وقال الفراء ...

شوأ: " " ، وقال الليث ...

ضراً: " " ، وقال أبو عمرو ...

ضياً: أهمله الجوهري ، يقال: ضيأت المرأة: كثر ولدها،

وهو تصحيف ضنأت.

أقول: إذا كان هذا تصحيفاً فلم أُدرج في

باب "المهمل"؟ ولم أُدرج في المعجمات الأخرى؟

طشأ: "	" ، وقال الفراء ...
ظوأ: "	" ، وقال ابن الأعرابي ...
ظياً: "	" ، وقال ابن الأعرابي ...
عدأ: "	" ، ويقال ...
غبأ: "	" ، ...
فبأ: "	" ، والغبأة المطرة السريعة ساعة ثم تسكن ..
فضأ: "	" ، وقال الأصمعي ...
فلأ: "	" ، ...
فناً: "	" ، وقال ابن الأعرابي ...
قدأ: "	" ، وقال شمر ...
لثأ: "	" ، وقال الفراء ...
مطأ: "	" ، وقال ابن الفرج ...
أثب: "	" ، وقال الليث ...
تجب: "	" ، وقال الليث
تنب: "	" ، وقال الدينوري ...
ثطب: "	" ، وقال ابن الأعرابي
جرب: "	" ، وقال ابن الأعرابي ...
جغب: "	" ، وقال ابن دريد ...
دجب: "	" ، وقال ابن الأعرابي ...
دحب: "	" ، وقال ابن دريد ...
دذب: "	" ، وقال الأزهري: الدَّيْبَان ...

وذكر الجوهري الديدوني بمعنى اللهو
في باب النون والصواب ذكره في هذا
الموضع.

، وقال ابن الاعرابي ...	"	"	دكب:
، وقال الأصمعي ...	"	"	ذعب:
، وقال أبو عمرو ...	"	"	رشب:
، وقال ابن دريد ...	"	"	زحب:
، وقال ابن الأعرابي ...	"	"	زخب:
، وقال ابن الأعرابي ...	"	"	زكب:
، ...	"	"	زلب:
، وقال أبو عمرو ...	"	"	زنب:
، وقال الفراء ...	"	"	زوب:
، وقال أبو تراب ...	"	"	زهب:
، ...	"	"	سذب:
، ...	"	"	سذب:
، وقال الدينوري: السَّيِّبَان شجر.	"	"	سسب:
، وقال ابن الأعرابي ...	"	"	سطب:
، وقال أبو زيد ...	"	"	ضأب:
، وقال ابن الأعرابي ...	"	"	طسب:
، وقال ابن الأعرابي ...	"	"	طعب:
، وقال الليث ...	"	"	عظب:

غذب:	" "	، وقال ابن دريد ...
فرب:	" "	، وفَرَاب مثل سحاب قرية في سفح جبل على ثمانية فراسخ من سَمَرْقَنْد ^(٢٤) .
قشب:	" "	، وقال ابن الأعرابي ...
قزب:	" "	، وقال ابن الأعرابي ...
كحب:	" "	، وقال ابن دريد ...
كدب:	" "	، وقال ابن الأعرابي ...
كزب:	" "	، وقال ابن الأعرابي ...
كشب:	" "	، وقال الليث ...
كظب:	" "	، وقال ابن الأعرابي ...
لخب:	" "	، وقال ابن الأعرابي ...
لشب:	" "	، اللولاشب الذئب.
لكب:	" "	، وقال ابن الأعرابي ...
نطب:	" "	، وقال ابن دريد ...
وبب:	" "	، وقال ابن الأعرابي ...
وتب:	" "	، وقال ابن دريد ...
هكب:	" "	، الهكب الاستهزاء.
يوب:	" "	، وشعيب النبي – صلى الله عليه وسلم- ابن يوب ^(٢٥) .

(٢٤) لقد أكثر الصغاني من "المهمل" الذي أخذَه على الجوهري فحشر فيه الكلم الأعجمي الدال على

المدن والمواضع كما سنرى.

أرت:	"	"	، وقال أبو عمرو ...
أنت:	"	"	، وقال ابن الأعرابي ...
بست:	"	"	، بُسَّتْ بلد من أعمال سِجِسْتَان ^(٢٦) .
بنت:	"	"	، وقال ابن عمرو ...
تبت:	"	"	، تُبَّتْ أرض ينسب إليها المسك الذكي ^(٢٧) .
تحت:	"	"	، نقيض فوق.
ترت:	"	"	، وقال أبو عمرو ...
تمت:	"	"	، وقال ابن دريد ...
تنت:	"	"	، وقال أبو عمرو ...
ثنت:	"	"	، وقال ابن الأعرابي ...
ثرت:	"	"	، وقال أبو عمرو ...
ثمت:	"	"	، وقال ابن الأعرابي ...
ثوث:	"	"	، وأبو خزيمة إبراهيم بن زيد الثاني منسوب إلى جده الثاني عشر، من العباد الزهاد ^(٢٨) .
ثهت:	"	"	، وقال ابن بزرج ...
جتت:	"	"	، وقال ابن الأعرابي ...
جرت:	"	"	، وجرت من قرى صنعاء في اليمن ^(٢٩) .

(٢٥) ومما تكثر فيه حشوه الأسماء الأعجمية من أعلام الأناسي.
(٢٦) أليس من التزيد أن يقال: إن "بست" مما أهمله الجوهري!
(٢٧) وتبت مثل "بست" في إرادة التزيد من "المهمل".
(٢٨) ولعل من التزيد الذي يتجاوز الحد أن يؤخذ على الجوهري إهمال "ثوت" لأنها وردت في نسبة أبي خزيمة إبراهيم بن يزيد الثاني (كذا).

جفت:	" "	، وفي "النوادر" (٣٠): اجْتَفَتَ المال
		واكْتَفَتَهُ إذا اجْتَرَفَهُ واستَحَبَّهُ أجمع.
جلت:	" "	، وقال ابن الأعرابي ...
حبت:	" "	، وحبَّبة أم سعد بن بحير بن معاوية (٣١).
خمت:	" "	، وقال الليث ...
خنت:	" "	، وقال ابن الأعرابي ...
زنت:	" "	، وزناته من قبائل المغرب (٣٢).
شبت:	" "	، الشَّبَّتَ البقلة المعروفة، وترد في "سبت" وفي الثاء المثلثة (٣٣).
صحت:	أهمله الجوهري	، وقال الأصمعي ...
صعت:	" "	، وقال ابن شُمَيْل ...
ضغت:	" "	، وقال الخليل: الضغت بالفتح اللوك.
ضوت:	" "	، وقال ابن دريد: ضوت موضع (٣٤).
ضهت:	" "	، وقال ابن دريد ...
طلت:	" "	، طالوت اسم أعجمي.
عهت:	" "	، قال أبو الوازع ... (٣٥).

(٢٩) وهذا يضاف إلى "المهمل" المزعوم وهو اسم مدينة يبدو عليه العجمة.

(٣٠) لم نهتد أي "النوادر" أراد فلدينا جملة كتب من "النوادر" معروفة.

(٣٢) وكذلك "زناتة" البربرية!!

(٣٣) وهذا من أسماء البقول وهي من الأعجمية التي عربت، وقد مر بنا منها السداب، والسذاب.

(٣٤) مثال آخر للتزديد.

(٣٥) قالوا: كأنه مقلوب متعته.

كست:	" "	، الكُسْتُ لغة في الفُسْط.
كلت:	" "	، وقال ابن فارس ...
كنت:	" "	، وقال ابن الأعرابي ...
كوت:	" "	، ومنه أبو عبيدة الكوتي ...
لحت:	" "	، وقال ابن الفرج ...
لخت:	" "	، وقال الليث ...
لوت:	" "	، وقال خالد بن جَنْبَة ...
مصت:	" "	، وقال الليث: المَصْنَت لغة في المَسْط.
مكت:	" "	، وقال ابن دريد. مَكَّتَ بالمكان أي أقام ^(٣٦) .
نتت:	" "	، وقال أبو تراب ...
نخت:	" "	، وفي "النوادر"؟ ...
دنت:	" "	، وقال أبو عمرو ...
دلت: أهمله الجوهري		، وقال أبو زيد ...
بنث:	" "	، وقال ابن الأعرابي ...
حبث:	" "	، وقال الأصمعي ...
شحث:	" "	، وقال الليث ...
شرث:	" "	، وقال الليث ...
شفت:	" "	، وشَفَّأَى قرية من سواد العراق ^(٣٧) .

(٣٦) هو من باب الإبدال، من غير شك، بين التاء والتاء.

(٣٧) ما زالت هذه القرية معروفة من أعمال حاضرة كربلاء، ولعلها آرامية التسمية.

شكث:	"	"	، وقال الدينوري ...
شوث:	"	"	، والشُّوَيْثِيُّ نوع من التمر (٣٨).
صبت:	"	"	، وقال الفراء ...
طلث:	"	"	، وقال ثعلب ...
طهث:	"	"	، وقال أبو عمرو ...
عدث:	"	"	، وقال ابن دريد ...
عرث:	"	"	، وقال ابن دريد ...
عنث:	"	"	، وقال الليث ...
عوث:	"	"	، وفي "نوادير" الأعراب يقال: عَوَّثَنِي فلان عن أمر كذا أي تَبَطَّنِي عنه.
غنث:	"	"	، وقال الليث ...
قبت:	"	"	، وقبات بن أشيم من الصحابة.
قيث:	"	"	، وقال أبو عمرو ...
كحت:	"	"	، وقال الليث ...
كلث:	"	"	، وانكَلَثَ إذا تَقَدَّمَ.
كنث:	"	"	، وقال الليث: الكنتة، بالضم، والنَّوْرِدَجَةُ تُتَّخَذُ من أس وأغصان خلاف تبسط وتتضد عليها الرياحين ثم تطوى، وإعرابه كُنْجُجَةٌ، والنبطية كُنْثَا (٣٩).
كدث:	"	"	، وقال النضر ...
لطث:	"	"	، وقال ابن دريد ...

(٣٨) ضرب من التمر ذكره الجاحظ المقدسي في أحسن التقاسيم، وما زال الاسم معروفاً.

(٣٩) وهذا من النماذج التي زيد فيها "المهمل".

لعث:	"	"	، وقال الأزهري ...
لعث:	"	"	، وقال أبو عمرو ...
لفث:	"	"	، والألفث الأحمق.
لكث:	"	"	، وقال الفراء ...
منتث:	"	"	، ومثوث قلعة بين الأهواز وواسط.
نأث:	"	"	، يقال: نأثت عني إذا بَعَدَ.
نعث:	"	"	، وقال ابن الأعرابي ...
وكت:	"	"	، وقال الليث ...
وهث:	"	"	، وقال الليث ...
هث:	"	"	، وقال الليث ...
يفث:	"	"	، ويقفث أخو سام وحام ...
أذج:	"	"	، وقال أبو عمر ...
أشج:	"	"	، وقال الليث ...
أوج: أهمه الجوهري	"	"	، الأوج ضد الهبوط، من اصطلاحات المنجمين ^(٤٠) .
بيج:	"	"	، ومحمد بن الحسن بن علي بن نضر بن باباج من أصحاب الحديث.
بدج:	"	"	، وأبدوج السرج أعجمية.
بزج:	"	"	، وقال ابن الأعرابي ...
بسج:	"	"	، يُوسنَج من أعمال هَراة.
بنج:	"	"	، وقال الأصمعي ...

(٤٠) و"الأوج" من المقامات البغدادية في الغناء في عصرنا، والاسم من المعربات.

، وقال ابن الأعرابي ...	"	"	تلج:
، وقال الأزهري ...	"	"	ثحج:
، وقال الليث ...	"	"	ثعج:
، وقال أبو عمرو ...	"	"	ثفج:
، وقال ابن دريد ...	"	"	ثوج:
، وقال ابن دريد ...	"	"	جأج:
، وقال الأصمعي ...	"	"	جيح:
، وقال ابن دريد ...	"	"	حفج:
، وقال الكسائي ...	"	"	حيح:
، وقال الليث ...	"	"	خزج:
، وقال الأزهري ...	"	"	خنج:
، وقال أبو عمرو ...	"	"	دحج:
، الدَّيْرَج من الخيل معرب ديزه.	"	"	دزج:
، المُدَسَّج دويبة تنسج كالعنكبوت.			دسج: أهمله الجوهري
، وقال ابن الأعرابي: الدنج العقلاء من الرجال.	"	"	دنج:
، وقال ابن الأعرابي ...	"	"	دوج:
، داج يَدِيح دَيْجاً وَدِيْجَاناً إذا مشى.	"	"	ديح:
، وقال ابن الأعرابي ...	"	"	دجج:
، وقال ابن دريد: دَحَجَه وَسَحَجَه بمعنى.	"	"	ذحج:
، وقال ابن دريد ...	"	"	دعج:
، وَذَلَجَ الماء في حلقه إذا جَرَعَه.	"	"	ذلج:

، وقال شمر: الرَّيْدَجَانُ الإِبِلُ تحمل حمولة للتجارة.	"	"	ردج:
، وقال الليث ...	"	"	رفج:
، الرَامَجُ الملوّاح الذي تصاد به الطيور ^(٤١) .	"	"	رمج:
، وقال شمر ...	"	"	زأج:
، وقال ابن الأعرابي ...	"	"	زبج:
، وقال ابن دريد ...	"	"	زرج:
، وقال الليث ...	"	"	سنتج:
، وقال ابن الأعرابي ...	"	"	سنج:
، وقال الليث، يقال: سَيَّجَ الحائطُ أي حظر كرمه بالشوك لئلا يُنْسَوْرَ ^(٤٢) .	"	"	سيج:
، وقال ابن الأعرابي ...	"	"	صجج:
، وقال الليث ...			صوج: أهمله الجوهري
، وقال الأصمعي ...	"	"	صهج:
، وقال ابن الأعرابي ...	"	"	ضمج:
، وقال ابن الأعرابي: ضاج: مال وعدل.	"	"	ضيج:
، وقال أبو عمرو ...	"	"	طبج:
، الطازَجُ معرب تازِه.	"	"	طرَج:
، وطَنْجَة بلد على ساح بحر المغرب.	"	"	طنج:
، وقال ابن الأعرابي: طَج في الحرب صاح صياح المستغيث ^(٤٣) .	"	"	طجج:

(٤١) لعله من المعربات كالمالج والپازج وغير ذلك.

(٤٢) قد يكون هذا من الثلاثي غير الغريب في جمهرة هذه "النوادر" الغريبة.

عجج:	" "	، وقال الأزهري ...
عذج:	" "	، وقال ابن الأعرابي ...
عزج:	" "	، وقال ابن دريد ...
فخج:	" "	، وقال أبو عمرو ...
فدج:	" "	، وقال أبو عمرو واللحياني ...
فنج:	" "	، وقال ابن الأعرابي: الفُنْج الثقلاء من الناس.
فجج:	" "	، وقال ابن الأعرابي: الفَجْجَة لعبة لهم.
قطح:	" "	، وقال أبو عمرو: القَطَاح قُلْس السفينة.
قنج:	" "	، وقال الأزهري ...
قوج:	" "	، وأحمد بن قاج من أصحاب الحديث.
كأج:	" "	، وقال ابن الأعرابي: كَأَج الرجل ازداد حُمُفُهُ.
كجج:	أهمله الجوهري	، وقال الليث: الكُجَّة لعبة لهم.
كدج:	" "	، وقال أبو عمرو: كَدَج الرجل إذا شرب كفايته.
كذج:	" "	، وقال الأزهري: الكَذَج المأوى معرب كَذَه.
كمج:	" "	، وقال الأزهري ...
لذج:	" "	، وقال ابن الأعرابي ...
لوج:	" "	، وقال ابن الأعرابي ...
متج:	" "	، وقال أبو تراب ...
مئج:	" "	، وقال الأصمعي ...
محج:	" "	، وقال الليث ...

(٤٣) وقال الأزهري: الأصل ضج، أقول: وهذا يعني أن هذا مما ورد بالضاد والظاء.

مغج:	"	"	، وقال أبو عمرو: مَغَجَ إذا عدا.
مفج:	"	"	، وقال الفراء.
ميح:	"	"	، وقال ابن الأعرابي: المَيْحُ الاختلاط.
نثج:	"	"	، ...
نرج:	"	"	، النَّوْرَجُ سَكَّةُ المحراث وكذلك النَّيْرَجُ.
نزج:	"	"	، قال ابن الأعرابي ...
نلج:	"	"	، والنَّيْلَجُ دخان الشحم.
نوج:	"	"	، قال ابن الأعرابي ...
وأج:	"	"	، الواجُ الجوع الشديد.
وحج:	"	"	، قال شمر الوَحَجُ الملجأ.
ونج:	"	"	، الونج ضرب من الأوتار.
ويج:	"	"	، قال الليث: الوَيْجُ خشبة الفدان بلغة عمان.
يرج:	"	"	، اليارَجُ القلب والسوار، فارسي معرب ياره.

أقول: انتهى الثلاثي الذي أهمله الجوهري فاستدركه عليه الصغاني، ولو رجع الدارس إلى هذه المواد في كتاب "التكملة" لوجدها في الأغلب الأعم مؤيدة في أنها أقوال اللغويين المتقدمين، غير أنه لا يجد في هذه المواد ما يؤيدها من شاهد على نحو ما هو معروف في المواد اللغوية في كتب العربية، إنه لا يجد شيئاً منها في لغة التنزيل العزيز، ولا في حديث شريف من حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم- وحديث أصحابه- رضوان الله عليهم-، ولا في مثل من أمثال العرب، ولا في قول مأثور من أقوالهم في الجاهلية والإسلام، ولا في شعر شاعر معروف، ولا في نثر الكتاب من أهل اللسن والبلاغة. وعلى هذا فهي أوابد وغرائب ونوادير، ومن يدري فلعل شيئاً منها قد ارتجله الأعراب فسمعه اللغويون منهم من دون أن يكون له استعمال بينهم.

وقد استقرت هذه المواد في الجزء الأول من "التكملة" دون أن أستبعد شيئاً منها لأشير إلى الدارس أن هذه المواد قد استبعدتها الجوهري وهو عارف بحقيقتها، وأنه ربما عدها من غير "الصحيح" الذي حبس عليه "معجمه".

ولنأت الآن إلى الرباعي في هذا الجزء، ولن أذكر هذا الرباعي برمته، ولكني سأقف عليه وقفات تقصر أو تطول.

إن هذه المواد الرباعية من "النوادر" أيضاً، ولعلها أغرب من نظائرها الثلاثية التي مرت بنا. ثم إن جمهرتها تدل على دلالات حسية لا ندرك لها حداً لأننا لا نجد لها في شواهد توضيح الضروري من معانيها، فمن ذلك أن منها قدراً يدل على "الصلب الشديد" أحيوان هو أم إنسان أم شيء آخر، أصفة أم اسم. ومثله الطويل الرخو، أو القصير أو المتقبض! كما أن منها قدراً آخر يدل على ضرب من المشي أو العدو أو الحركة، على أننا نقف فيها على أشنات أخرى لا ندرك من حدودها شيئاً كبيراً، ومن المفيد أن نستدرك فنقول: قد نجد منها شواذ تنصرف إلى دلالة محددة. وإليك شيئاً من ذلك على سبيل التمثيل:

حفساً: أهمله الجوهري ، وقال ابن السكيت: رجل حَفَيْساً إذا كان قصيراً لثيم الخِلقَة.

درباً: " " ، ويقال: تَدْرَبُ الشيء: تَدَهْدَأُ.

طفشاً: " " ، وقال الأموي: الطَّفَشْتُ: الضعيف من الرجال.

طلساً: " " ، وقال ابن بزرج: أطلنْسْتُ: تحولت من منزل إلى منزل.

ججرب: " " ، وقال ابن دريد: فرس جَجْرَبٌ وجُحَارِبٌ وهو العظيم الخلق.

أقول: وفي قوله: إنه "فرس" فائدة.

جرعب: " " ، وقال ابن دريد: الجَرْعَبُ الجافي، وجَرْعَبٌ أيضاً من الاعلام، وجَرْعَبٌ: صُرْع.

جعئب: " " ، وقال ابن دريد: جُعئِبٌ بالضم، اسم مأخوذ من فعل ممات.

جعشب: " " ، وقال ابن دريد: الجَعَشْبُ الطويل الغليظ.

جعنب: " " ، وقال ابن دريد: الجَعْنَبُ القصير.

ججحب: " " ، وقال ابن الأعرابي: الجِجْحَابُ القصير المُلَزَز.

- حترب: " " ، وقال ابن دريد: الحَتْرَبُ على وزن جعفر: القصير، قال: وأحسبه مقلوباً من "حَبَّرَ".
- أقول: وليس من شك أنه مقلوب ولكنه غير مسموع في كلامهم.
- حطرب: " " ، وقال ابن دريد: الحَطْرَبَةُ: الضَّيِّقُ.
- حظلب: " " ، وقال ابن دريد: الحَطْلَبَةُ: السرعة في العدو.
- حظرب: " " ، والمَحْظَرِبُ الضَّيِّقُ الخُلُقُ!
- حنجب: " " ، وقال ابن دريد، الحُنْجُب: اليابس من كل شيء.
- خدرب: " " ، وقال ابن دريد: خَدْرَبُ اسم على جعفر!
- خذعرب: " " ، وهو من الخماسي، قال ابن دريد: اسم زعموا، ولا أدري ما صحته!
- خزرب: " " ، وقال ابن دريد: الخَزْرَبَةُ اختلاط الكلام وخطله.
- أقول: وهذا معنى نجد فيه الحَطْلَبَةُ والهُنْدَرَمَةُ والهُذْرَبَةُ.
- خضعب: " " ، وقال ابن دريد: الخَضْعَبَةُ: الضعيف.
- وقال غيره: الخَضْعَبَةُ: المرأة السمينة.
- أقول: ألا يؤذن هذا أن نقول إن هذه الدلالات تفتقر إلى شيء يقويها؟
- دحقب: " " ، وقال ابن دريد: دَحَقَبَهُ إذا دفعه من ورائه دفعاً عنيفاً.
- دعرب: " " ، وقال ابن دريد: الدَّعْرَبَةُ: العرامة.
- أقول: وما زال شيء من هذا في العامية الجنوبية في العراق، يقال: فلان مُعْدَرَب، بالذال، أي شَرِير.
- زلدب: " " ، وقال ابن دريد: زَلْدَبْتُ اللَّقْمَةَ إذا ابتلعْتُها، وليس بثبت!

زلهب:	"	"	، وقال ابن دريد: زَلَهَبٌ – زعموا-: خفيف اللحية، ولا أَحْقُهُ.
سحتب:	"	"	، وقال ابن دريد: سَحْتَبٌ، هو الجريء المقدم.
سرنذب:	"	"	، من الخماسي، ومنه سَرَنْدِيبٌ بلد بناحية الهند معروف.
سنطب:	"	"	، وقال ابن دريد: السَّنْطَبَةُ طول مضطرب.
شخزب:	"	"	، وقال ابن دريد: الشَّخْرَبُ والشُّخْرَابُ.
الغليظ الشديد.			
صرخب:	"	"	، وقال ابن دريد: الصَّرْخَبَةُ والصَّرْبِيخَةُ: الخفة والنزق.
طرعب:	"	"	، وقال ابن دريد: الطَّرْعَبُ: الطويل القبيح الطويل.
طعسب:	"	"	، وقال ابن دريد: الطَّعْسَبَةُ: عدوٌ في تعسف.
عرزب:	"	"	، وقال ابن دريد: العَرْزَبُ: الصلب الشديد.
قصلب:	"	"	، القُصْلَبُ: الشديد الصلب.
كرشب:	"	"	، وقال ابن دريد: الكِرْشَبُ والقِرْشَبُ واحد وهو المسن.
هزرب:	"	"	، وقال ابن دريد: الهَزْرَبَةُ الخفة والسرعة.
دلمث:	"	"	، وقال ابن دريد: الدَّلْمَثُ والدُّلَامِثُ: السريع.
دهكث:	"	"	، وقال ابن دريد: الدَّهْكُثُ: القصير.
كنبث:	"	"	، وقال ابن دريد: الكُنْبُثُ والكُنَابِثُ: المنقبض البخيل.
ثخبج:	"	"	، والمُتَخْبِجُ: الرهل اللحم.
عدرج:	"	"	، وقال ابن دريد: عَدْرَجٌ: هو الخفيف السريع.
لمهج:	"	"	، وقال الفراء: يقال لَبِنٌ سَمَّهَجٌ لَمَّهَجٌ إذا كان حلواً دسماً.
هردج:	"	"	، وقال ابن دريد: الهَرْدَجَةُ: سرعة المشي.

أقول: كنت قد وقفت على المواد الثلاثية واستقرت جملة ما ورد فيها في الجزء الأول من كتاب "التكملة ..."، وذلك لأشير إلى أن تلك المواد عامة تدخل في باب "الغريب". وهي من "النوادر". غير أنني عمدت إلى اختيار مواد معينة من المواد الرباعية، تلك التي انصرفت إلى دلالات معينة أشرت إليها قبل ذكر المواد، وذلك لأدل على أن هذه الطائفة من المواد تفتقر إلى ما يثبت ورودها في العربية، فليس من شاهد يدل على صحتها وصوابها، بل هي مجرد أقوال. ومن المفيد أن نلاحظ أن أغلب ما أتيت على إثباته كان من أقوال ابن دريد، وهذا يذكر بما قيل عن "مناكير" هذا العالم اللغوي. على أن في الكلمات الرباعية من المواد المفيدة المؤيدة بما يصح من الشواهد، ومع كل هذا فقد أهملها الجوهرى^(٤٤).

خاتمة:

هذا ما بدا لي أن أقول في معجم "الصحاح وتاج العربية" وما كان له من أثر في الدراسات اللغوية القديمة، ذلك أن هذا المصدر قد حفز غير واحد إلى أن يكتب فيه على نحو ما كما أشرنا إلى ذلك، فكان من ذلك ثمرات يانعات أعانت على درس المعجم القديم، كما قدمت فوائد سنوية لمن يتصدى لتاريخ هذه اللغة الكريمة.

(٤٤) أستطيع أن أقول: إن استقرائي للجزء الأول من كتاب "التكملة ..." يصح أن يدفعني إلى القول إلى أن ما في الأجزاء الأخرى من غريب الثلاثي الذي أهمله الجوهرى وغريب الرباعي الذي عمدت أن يكون من صفة خاصة غير بعيد عن الجزء الأول من حيث كون المواد الثلاثية "المهملة" غريبة من "النوادر"، وأن ما فيها من الرباعي "المهمل" مشتمل على ما أردت من صفات تحققت في استقرائي للجزء الأول.